توقيعات البقاعي
على نسخة من كتابه أسواق الأشواق

د.محمد حسان الطيان
الجامعة العربية المفتوحة بالكويت

تمهيد لغوي:

جاء في اللسان:" والتوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه، وقيل هو مشتق من التوقيع الذي هو مخالفة الثاني للأول. قال الأزهري: توقيع الكتاب المكتوب أن يحمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدَّبَر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكّده ويوجبه"(١).

وضرب الزبيدي في تاجه بعض الأمثلة للتوقيع فقال: " كما إذا رفعت إلى السلطان أو الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا، ويستوفى لهذا حقه. ورفع إلى جعفر بن يحيى كتاب يشتكى فيه بعامل فكتب على ظهره: يا هذا، قد قلَّ شاكروك، وكثر شاكوك، فإما عدلت، وإلا اعتزلت. ورفع إلى الصاحب بن عباد كتاب فيه أن إنساناً هلك، وترك يتيماً، وأموالاً جليلة لا تصلح لليتيم، وقصد الكاتب إغراء الصاحب بأخذها، فوقّع الصاحب فيه: الهالك رحمه الله، واليتيم أصلحه الله، والمال أثمره الله، والساعي لعنه الله"(٢).

---

(١) لسان العرب: (وقع)

(٢) تاج العروس:(وقع)

على أن من أطرف التوقيعات التي قرأتها توقيعا كتبه الخليفة العباسي الناصـــر (٦٢٢ هـــ) في ورقة كتبها إليه خادم له اسمه يُمْن يتعتّب، نصه: "بمن يمنٌ يُمن، ثمن يُمن ثمن ثمن" (٣)

ويقال إن الخادم أعاد الجواب وقد كتب فيه:" يمنٌ يمنٌ بِمن ثمَّن يُمن ثُمنَ ثُمن"(٤).

وقـــد نظـــم بعـــضهم هذا في بيت جعله أرباب التعمية(الشفرة) من الأبيات التي يُعَمَّى بها للمعاياة أي للمعاناة والإجهاد في طلب الحل:

بِمنْ يَمُنٌ يُمْنُ بِمَنْ ثَمَنُ يُمْنِ ثُمْنُ ثُمُنْ(٥)

ومن هنا جاء مصطلح المخطوطات الموقّعة، إذ هي المخطوطات التي وقّع علـــيها مؤلفوها بإجازات أو معارضات أو إضافات أو سماعات. على أن دلالـــة المصطلح توسعت لتشمل المخطوطات التي كتبها مؤلفوها بخطهم، أوغيـــر ذلـــك مما اشتملت عليه محاور مؤتمر المخطوطات الموقعة الذي عقد في مكتبة الإسكندرية ٢٦- ٢٨ إبريل ٢٠٠٥.

ويقـــدم هـــذا البحث واحدة من المخطوطات الموقعة بالمفهوم الأول لمعنى التوقيع.

---

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٠، والوافي بالوفيات ٦/٣١٥

(٤) الوافي بالوفيات٦/٣١٥

(٥)علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب٢/٢٢٥،٢٨٧

١ - ترجمة البقاعي:

لابد لنا قبل الوقوف على توقيعات البقاعي على مخطوطه هذا من الإلمام بترجمة الرجل حتى نتبين مكانته ومنزلته، فما أهمية توقيع لمن لا أهمية له ؟! ومامكانة توقيع لمن لا مكانة له؟!

والحـــق أن المتتبع لذكر الرجل في كتب التواريخ والسير والتراجم يروعه ما تبوأ من منزلة، ويذهله ما احتلّ من مكانة. وحسبنا أن نقدم هنا نـــبذة عـــنه مـــشفوعة بأمثلة من الفنون التي برع فيها، وطائفة من أقوال العلماء فيه، لنقف على حقيقة ذلك كله:

هو إبراهيم بن عمر بن حسين الرُباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بـــن علـــي بـــن أبي بكر البِقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب ومقرئ مفسر محدث، ولد في البقاع سنة٨٠٩هـــ=١٤٠٦م، وسكن دمشق ورحـــل إلى بيت المقدس والقاهرة، أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره أشـــهرهم ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري، وتخرج به خلق كثير، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٨٨٥هـــ=١٤٨٠م.

خلـــف البقاعـــي عـــشرات المؤلفات في فنون شتى تشهد بعلو كعبه ومَكِنَتِه.

فلـــه فـــي التاريخ: "إظهار العصر لأسرار أهل العصر " و " عنوان الـــزمان في تراجم الشيوخ والأعيان " و " مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة من الخلفاء الراشدين ".

وله في التفسير: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " و " الفتح القدسي في آية الكرسي ".

وفي القراءات و التجويد:" ضوابط الإشارة إلى أجزاء علم القراءة " و" القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد ".

وفي الحديث: "الإعلام بسن الهجرة إلى الشام " و "النكت الوفية بما في شرح الألفية ".

وفـــي الأدب: " أســـواق الأشـــواق من مصارع العشاق " و"إشعار الواعي بأشعار البقاعي".

وفـــي الحـــساب: " السباحة في علمي الحساب والمساحة ". وغيرها وغيرها كثير. فقد بلغت مؤلفاته خمسة وخمسين كتاباً وفق الإحصاء الذي صنعه الأستاذ خير الله الشريف في مقاله القيم " الإمام البقاعي ومؤلفاته " ثـم أوصـــلها الأستاذ محمد مجير الخطيب إلى سبعة وخمسين في تقديمه لكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام. ثم أوصلها أخيرا د.عبدالحكيم الأنـــيس إلى ستة وستين مؤلفاً، وذكر أنه طبع منها اثنا عشر كتاباً. ولعل من وراء ذلك كله كتبا أُخرى لم يبلغنا علمها [٦].

---

٦ . انظر الأعلام للزركلي ٥٦/١ ، ومقال " الإمام البقاعي ومؤلفاته " للأستاذ خير الله الـــشريف فـــي مجلـــة آفـــاق الـــثقافة والتـــراث العـــدد التاسع المحرم ١٤١٦-يونـــيو(حزيران)١٩٩٥ ص٧٧-٨٨ ، وكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام ٦٤-٧٠ ، والفتح القدسي في آية الكرسي ص ٤٤ .

ومن أمعن النظر في الكتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والـــسور علـــم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول المنقول.

أما أقوال العلماء فيه:

فيقول عنه السيوطي (٩١١هـ) في نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ٢٤: "العلامة المحدث الحافظ.....مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث ورحل.....وله تصانيف حسنة"

ويقول فيه داود الأنطاكي (١٠٠٨هـ) في تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ص٩ : "وحيد زمانه ورئيس أقرانه ،وواحد عصره ،ونادرة دهره..".

ويقول عنه ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب: "المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ .. برع وتميز وناظر.. وصنف تصانيف عديدة من أجلِها المناسبات القرآنية.. وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته".

ويقول الشوكاني (١٢٥٠هـ) في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: "الإمام الكبير...برع في جميع العلوم وفاق الأقران" ثم يرد على معاصره السخاوي الذي أساء إليه فيقول: " بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وإنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعض بما يخالف الإنصاف، لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم وتارة على الدنيا، وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي والسخاوي منحرفاً عنه، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر[٧].

---

٧ . انظر الترجمة الضافية التي كتبها د. عبد الحكيم الأنيس للبقاعي في تحقيقه لكتابه "الفتح القدسي في آية الكرسي" ص١٧ـ٤٦ وقد أحسن كل الإحسان حين تتبع حياة الرجل مراعياً التسلسل الزمني لأبرز أحداثها، وختمها بمصادر ترجمته التي بلغت ٢٨ مصدراً.

٢ - مخطوط أسواق الأشواق من مصارع العشاق:

هـــذا مخطـــوط نفيس من المخطوطات الموقعة، وهو إلى ذلك يندرج تحـــت قائمـــة ما له نسب عريق من مخطوطات تراثنا العربي الإسلامي، فناسخه تلميذ المؤلف علي بن حسين بن علي بن أحمد السروي، نسخه من نسخة الأصل في حياة شيخه، ثم عارضه على هذا الأصل بقراءة صاحبه وهـــو المؤلف نفسه، لم يكتف بذلك وإنما وثقه بأن يوقع المؤلف بخطه في آخر كل مجلس من مجالس تلك المعارضة بعبارة:

"بلغ معارضة على أصله بقراءتي. كتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

ثم ختم هذه المجالس. بتوقيع جاء فيه:

"بلـــغ معارضـــة على أصله بقراءتي في مجالس آخرها حادي عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وثماني مئة. وكتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

فـــإذا علمـــنا أن أول هـــذه المجالس قد أرّخ في رمضان سنة ٨٧٣ وآخرها قد أرّخ في الحادي عشر من شوال سنة ٨٧٣ تبين لنا على وجه اليقـــين أن هـــذه المعارضة وقعت في نحو شهر من عام ٨٧٣ وهو العام نفسه الذي وقع فيه الفراغ من نسخ المخطوط فقد جاء في قيد الفراغ:

" وافق الفراغ من كتابته في سابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وســـبعين وثماني مئة على يد الفقير إلى الله تعالى علي بن حسين بن علي بـــن أحمد السروي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين آمين آمين آمين"

أمـــا النسب العريق فأعني به عناية مؤلفه بذكر سنده في روايته لأصل كتابه، وهو كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السراج جعفر بن أحمد القارئ

(٥٠٠ هـ) ذلك أن كتابه هذا – أسواق الأشواق – مبني على ذلك الكتاب ومستخلص منه ومن ثم كان المؤلف حريصاً على ذكر سنده إليه وفيما يأتي نصه:

".. وسميته **أسواق الأشواق من مصارع العشاق**. وقبل الشروع في شيء من الأبواب أذكر **سندي بهذا الكتاب** فأقول مستعيناً بالله الجليل ضارعاً إليه في التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل:

أخبرني بجميع مصارع العشاق لأبي محمد السراج قاضي القضاة شيخ الإسلام حافظ العصر علامة الدهر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن الإمام نور الدين بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري الشافعي، والشيخة الصالحة الكاتبة الأصيلة عائشة بنت قاضي القضاة علاء الدين علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانية العسقلانية الأصل المصرية الحنبلية إجازة منهما.

قال الأول: أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي عن أبي النور بن يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الدبابيشي، عن العلامة أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المعروف بابن بنت الجميزي.

وقالت الثانية: أخبرنا جدي لأمي أبو الحزم فتح الدين محمد بن محمد ابن محمد ابن أبي الحزم القلانسي الحنبلي إجازة عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البخاري عن شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، بإجازتهما من الجهة العالمة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري قالت: حدثنا المصنف أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج من لفظه وكتابه سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة فذكره.

بقـــي أن أشير إلى أن هذا المخطوط يتألف من ٢٨٥ ورقة من الحجم المتوسط وهو من محفوظات مكتبة بشير آغا رقم ٥٥٢، وقد صوره معهد المخطـــوطات تحت رقم ٢٧ أدب كما ذكر المرحوم فؤاد السيد في فهرس المخطوطات المصورة[٨].

وقـــد حـــصلت علـــى مصورة عنه من الأخوين الكريمين والباحثين الفاضـــلين المهـــندس محمد الزمامي والأستاذ وائل الرومي، فلهما شكري وتقديري.

وســـأورد فـــيما يأتي ثلاثة نماذج من هذا المخطوط، يبدو في **الأول** عنوانه واسم مؤلفه، وفي **الثاني** بدايته(أو الورقة الأولى منه) وفي **الثالث** سند المؤلف في روايته لأصله وهو مصارع العشاق:

---

٨ . فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

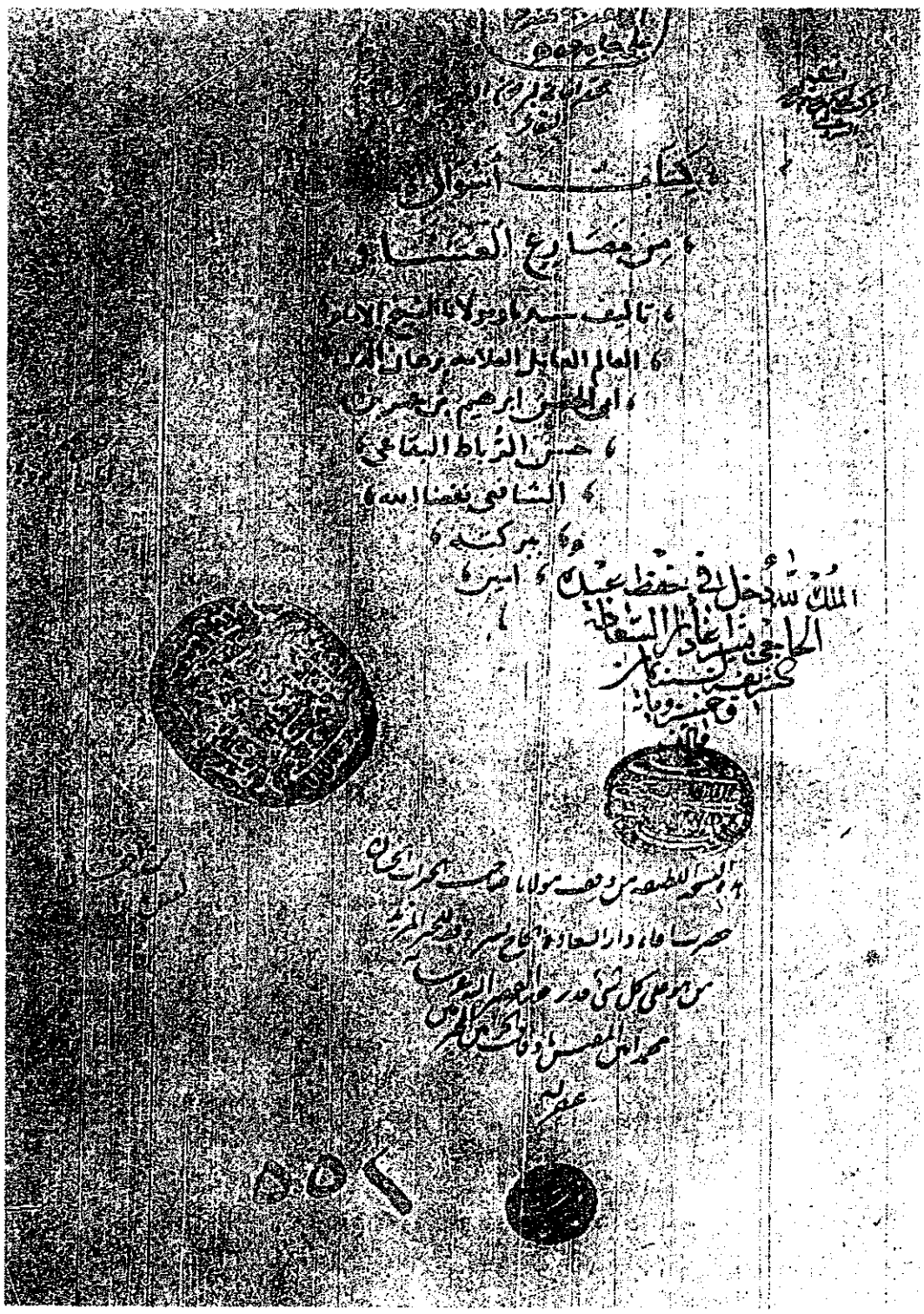

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر يا اكرم الاكرمين

قال الشيخ الامام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة ابو المسرة ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي نفعنا الله تعالى والمسلمين بعلومه وبركاته

الحمد لله المبتدع الخلاق الذي جعل مصارع العشاق بحبر الحب المعتبر وسقاها من سحاب القلوب الرقيقة والافئدة الشفيقة عبر الدمع المتحدر واشهد ان لا اله الا الله المتصرف في قلوب عباده بخفي الالطاف واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالود والعطف صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الجلة اولي الصفاء وعلى انصاره واحبابه التابعين لهم في الخلة بجميل الوفاء ما حن آلف الى بالوفه وقتل مشعوف بسهام العشق وسيوفه اما بعد فان كتاب مصارع العشاق لابي محمد جعفر بن احمد السراج نزل من انس القلوب المتربعة منزلة الغني من المحتاج فكان له بسبب ذلك القبول التام والرواج الاعند كثيف الطبع منحطوا الى العلاج فحمله المصنف في اثنين وعشرين جزءا وكتب ابياتا من نظمه على ظهر كل جزء تحت اسمه فكتب على الجزء الاول

هذا كتاب مصارع العشاق ... صرعهم يهواه نوى وفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده ... وتظلب الراقي فعز الراقي
فاذا تضمنه اللبيب رثى لهم ... اسرى هوى ايسوا من الاطلاق

وكتب على الثاني

مصارع العاشقين صرعهم ... هوى الظباء الغوائر الحدق
تصنيف من صده تصونه ... عز كشف ما في الفؤاد من خرق
فؤاد ستر الهوى وكتمه ... والقلب قد تاه منه في طرق

وكتب على الثالث

مصارع العشاق مجموعه ... فهاك من بثوا وها عبره
جمع عفيف الخيط يطوي الهوى ... لولم تكن تنشق العبر
غرائبا ومقيم وان ... اعدمه يوم النوى لصبر

وكتب على الرابع

كتاب مصارع اهل الهوى ... ومن نكت فيه ايدي النوى
تكلف تصنيفه عاشق ... عفيف الضمير رحيم الجوى
اجال رسل الهوى قلبه ... فهل ينشد قلبه يا هوى

وكتب على الخامس

مصارع قتلى من العاشقين ... قد لفها بينهم حالف
تكلف جمع احاديثهم ... عفيف هوى وخل عالف
ينتهاه الهوى صرف صهبائه ... فاصبح سكرانا الشارف

٣ – مواضع توقيعات المؤلف على النسخة:

تتبعت مواضع التوقيعات التي وقعها المؤلف على نسخة المخطوط هذه بغية إحصائها فوجدتها قد بلغت ستة عشر توقيعاً بعدد المجالس التي تمت فيها معارضة المخطوط بأصله، وفيما يأتي جدول يبين أرقام الورقات التي حملت هذه التوقيعات مرتبة وفق ورودها في المخطوط وإلى جانبها رقم المجلس الذي يفترض أن التوقيع قد تم فيه:

رقم المجلس المتسلسل	رقم الورقة في المخطوط
١	٩/ب
٢	٤٠/ب
٣	٦٤/أ
٤	٦٦/أ
٥	٧٥/أ
٦	٨٩/أ
٧	١١٠/أ
٨	١١٣/ب

رقم المجلس المتسلسل	رقم الورقة في المخطوط
٩	١٣٤/ب
١٠	١٧٠/ب
١١	١٨٩/ب
١٢	٢٢٠/ب
١٣	٢٢٤/ب
١٤	٢٤٥/ب
١٥	٢٦٢/أ
١٦	٢٨٥/ب

وسأورد فيما يأتي ثلاثة نماذج من هذه التوقيعات:

يبدو في **الأول** التوقيع الأول في الورقة (٩/ب) وهو يشتمل على تاريخ أول مجلس تمت فيه معارضة المخطوط (رمضان سنة٨٧٣).

ويبدو في **الثاني** توقيع آخر وقّع في المجلس التاسع على الورقة (١٣٤/ب).

ان لانت زوجها وما ناسب ذلك من الامور التي كان في بعضها ولا بد الصبر عليها وما احسن ما قال

ويستحق من بعض انكار طلها ... اذا ظلمت يوما وان كان لي عذره

مخافة اني قد علمت لبينها ... على الصبر منها ما على هجرها صبري

واني لا ادري اذا النفس اخرجت ... على هجرها ما يبتغين ام الصبر انتهى

وقال السراج وجدت بخط احمد بن محمد بن خالد الابوسي ونقلته من خطه ما علي بن عبد الله ابن الفتح ابو محمد الجوهري ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ثنا عبد الرحمن ثنا عمي عن ابيه سمعت اعرابيا يقول اشد من الراي عند الهوى واقطع النفوس عند الصبا ولقد نصدعت كبدي للعاشقين من يوم الحادلين ولوعات لقلب نيران بخلا انبادهم من دموع بخلا الغواني كغروب السواني اخبرنا ابو غالب عبد الوهاب بن خلف قراءة عليه ثنا ابو الفرج المعافى بن زكريا الطبري املا ثنا ابراهيم بن محمد بن عرفه الازدي له استنشدني ابو سليمان داود بن خلف الاصبهاني بعقب قصيدة انشدته مدحته اياها وسالته الجلوس فاجابني وقال لي يا فتى مهما لو بدلت مكانه فقلت له هذا كلام العرب فقال احسن الشعر ما دخل القلب بلا اذن هذا بعد ان بدلت الكلمة فقال لي انسان يخبرنه ما انشد ولعله يذكر الفراق اشعر فقال ابو سليمان واي شيء ابعد من الفراق نرحلي عن محمد بن حبيب عن عمار بن عقيل بن بلال بن جرير انه قيل له ما كان ابوك صانعا حيث يقول

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم ... يوم الفراق فعلت ما لم افعل

قال كان يتمم عينه ولا يرى ظعن اصحابه انبانا ابو بكر احمد بن خلف الحافظ بالشام ثنا علي بن ابو هو ابو الحسن الفقي الكاتب ثنا ابو عبيد الله محمد بن عمران اخبرني محمد بن يحيى قال قال علي بن الله

نوب الزمان كثيرة واشدها ... شمل يحكم فيه يوم فراق

يا قلب لم عرضت نفسك للهوى ... اوما رايت مصارع العشاق

وبه الى ابن عمران اخبرني المظفر بن يحيى قال قال بعض الفلاسفة لم ار حظا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب واخره عطب اخبرنا ابو بكر احمد بن خلف الحافظ بالشام ثنا رضوان بن عمر الدينوري سمعت معروف بن محمد بن معروف الصوفي بالري يقول سمعت ابا بكر الفنجي يقول سمعت ابراهيم بن الفضل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول لو كان لي من الامر شيء ما عذبت العشاق لان ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار وقال وجدت في مجموع سماه جامعه زهر الربيع قال انشدت عبد الله بن العباس

مساكين اهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

فقال لله در صاحب هذا الشعر لا والله ما ذل الله تراب قبورهم عشقوا فبل احبوا وشربوه وبصروه وحسنوه فقال ابن المعتز ولي في هذا المعنى اطبع من قول هذا البارد

وانشدني لنفسه ... صورت قبر مشرف وسط رومه ... عليه من الانوار مثل الشنابر

فقلت لمن هذا فقال لي الشرى ... وكم عليه انه قبر عاشق

من الروايات انه لما باع زوجها الراحله وعثر عليها شكى امره الى ابن ابى عتيق فعمل ما ينبغى من تطليقها وقبلها الوفاء العده وسوال ابيها فى اعادتها فلم يشك فيمن اصول فزاد ذلك فى الطين بله لذلك ولذلك جزم من جزم باعادته لها طلقها فان حبس اشرف على تمام الامر والله اعلم وقال صاحب المصارع قال محمد بن المرزبان وجدت مكتوبا بخط ابن حمدون عن بعض اصحاب المدائنى انا المدائنى انا هشام بن محمد بن السايب الكلبى قال غلطان ذكر ذلك فى كتاب اللباب قال كان بالمدينه رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان شاعرا ظريفا وكانت عنده ابنه عم له وكان لها عاشقا وبها مستهترا فقال ما بيده اضافه شديده واراد السفر الى هشام بن عبد الملك ليلتمس الرضا فنعه من ذلك ما كان عهد بها وكره فراقها فقالت له يوما وقد لعب بها الصبى يا نوفى الخليفه لعل الله تعالى ان يسلم لك سفرك فيكشف به بعض ما فيه فلما سمع ذلك منها نشط للخروج فلما تجهز وهم حين اذا كان من الرصافه على ايام فخطر ذكرها بقلبه وتمثلت له فلبث ساعه شبيها بالمغمى عليه ثم افاق فقال للجمال اصبر فحبس ابله فانشا يقول

بينما نحن من ملاك بالقاع سراعا والعيس يهوى هويا
خطرت خطره على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك ادعانى اليك الشوق والحادى زاد المطيا
فكرونا صدور عيس عتاق مضرات طورا بالسير طورا
داك ما لين من رجع السير وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع بنا فقال له سبحان الله قد تلفت وهذه ابيات الرصافه فقال والله لا يخطو خطوه الا راجعه فرجع حتى اذا كان من المدينه على ما قدر سيل ليقيه بعض بنى عمه فاخبره ان ابنه قد توفيت فنهض نهضته وسقط عن ظهر البعير ميتا قلت انشد الشيخ محمود لجمعهم فى المعنى ائتمن عن حبيبك ثم بكى عليه فاذا عاد الى العراق

كانك لم تذرف طعاما بين فتعلم الحوض المذاق وللتعرف الرضى
ومن هذرى لا اسل الركض غيهم والاعلاق وجرى باقيات كاهيا
ومن سل الركبان عن كل غايب فلابد ان القى بسيرا وناعيا انتهى

واخبرنا ابو محمد الحسن بن على انا ابو عمر محمد بن العباس نا محمد بن الحسن بن دريد نا الرياشى عن الاصمعى قال مررت انا وصاحبى بجاريه عند قبر فاراد صاحبى ان يتقدم ولا اعلم منها وعليها ثياب نظيفه وحلى كثير وهى تبكى على القبر فلم نزل نتعجب من جمالها وزجرها وحزنها فقلت يا هذه ما بال هذا الحزن الشديد فبكت ثم انشات تقول

فان تسلنى ثم حزنى فانى رهينه هذا القبر ما فيان
وانى لاستحيه والترب بينا كما كنت استحيه حين يرانى

فعجبنا منها ومن ظرفها وجمالها واستحسنا ما قالت ثم جلسنا نسمع ما تقول ولا نعلم بانفسنا ما تقول يا صاحب القبر بالله كان لونس وكان يكثر فى الدنيا مواناتى

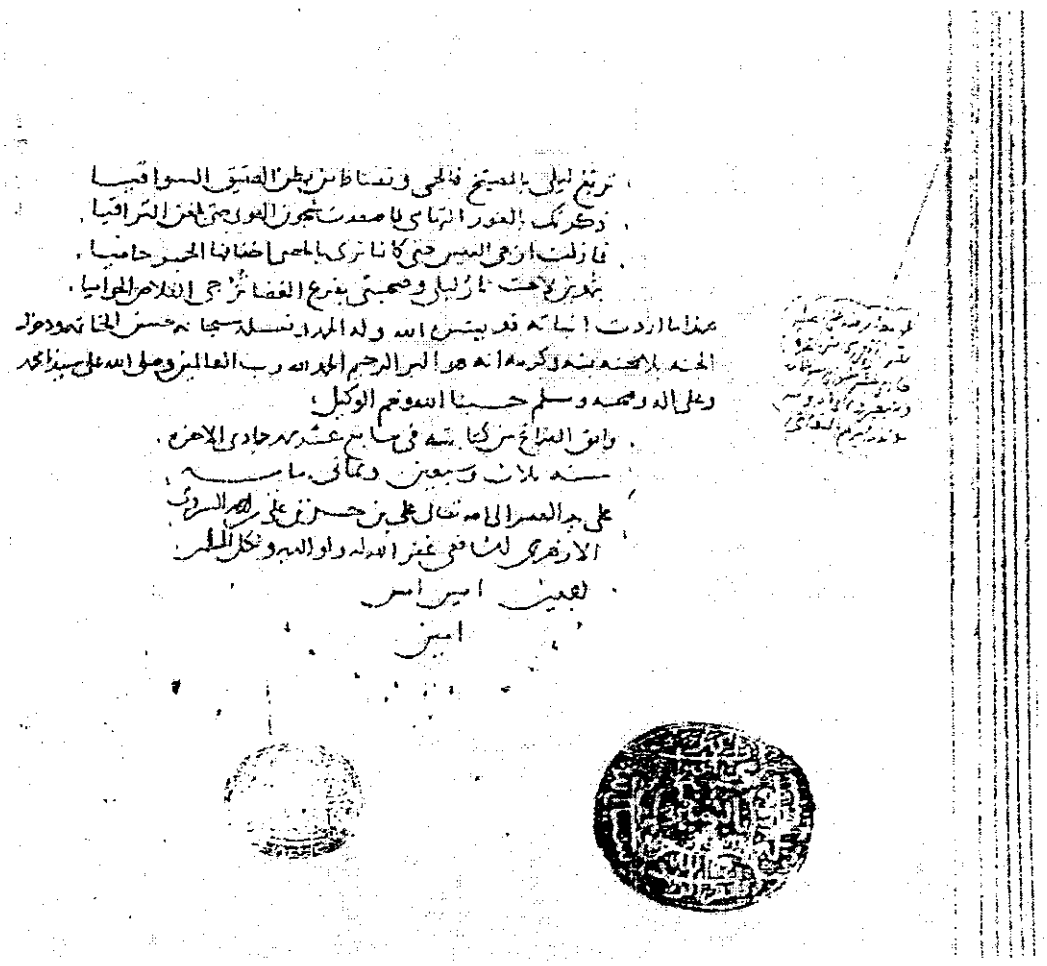

ويـبدو فـي **الثالـث** التوقيع الأخير الذي وقِّع في آخر هذه المجالس على الورقة الأخيرة من المخطوط إلى جانب قيد الفراغ، وهو يشتمل على تاريخ هذا المجلس (١١شوال سنة ٨٧٣).

٤ - **خط البقاعي:**

تسنى لي الوقوف على ثلاثة نماذج من خط البقاعي يمكن موازنتها بتوقيعاته التي عرض لها هذا البحث.

أما أولها فهو في نسخة من مخطوط تاريخ البقاعي المسمى "إظهار العصر لأسرار أهل العصر" الذي أراده ذيلاً على كتاب شيخه ابن حجر "إنباه الغمر بأبناء العمر".

وقد أشار العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في مذكراته إلى أن في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة مسودة " تاريخ البقاعي " بخطه سنة ٨٥٥ - ٨٧٠ [٩]، وقد وقفت على مصورة عن هذه النسخة في مكتبة الأخ الحبيب الباحث المحقق الأديب الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله عني خير الجزاء، بلغ عدد أوراقها ٣٠٠ ورقة تقريبا وفق ما جاء في بطاقتها التي عنونت بمعهد إحياء المخطوطات العربية، وهو الذي يحتفظ بأصلها. وسأثبت فيما يأتي نموذجين منها:

يمثل الأول الورقة الأولى من المخطوط ويبدو العنوان فيها مستدركا على الهامش .

ويمثل الثاني الورقة الأخيرة، ويبدو فيها قيد الفراغ وهذا نصه:

"**وافق الفراغ من هذا الديوان سلخ سنة سبعين وثماني مئة على يد منشئه إبراهيم بن عمر البقاعي...**"

---

٩ .الأعلام ١/ ٥٦ .

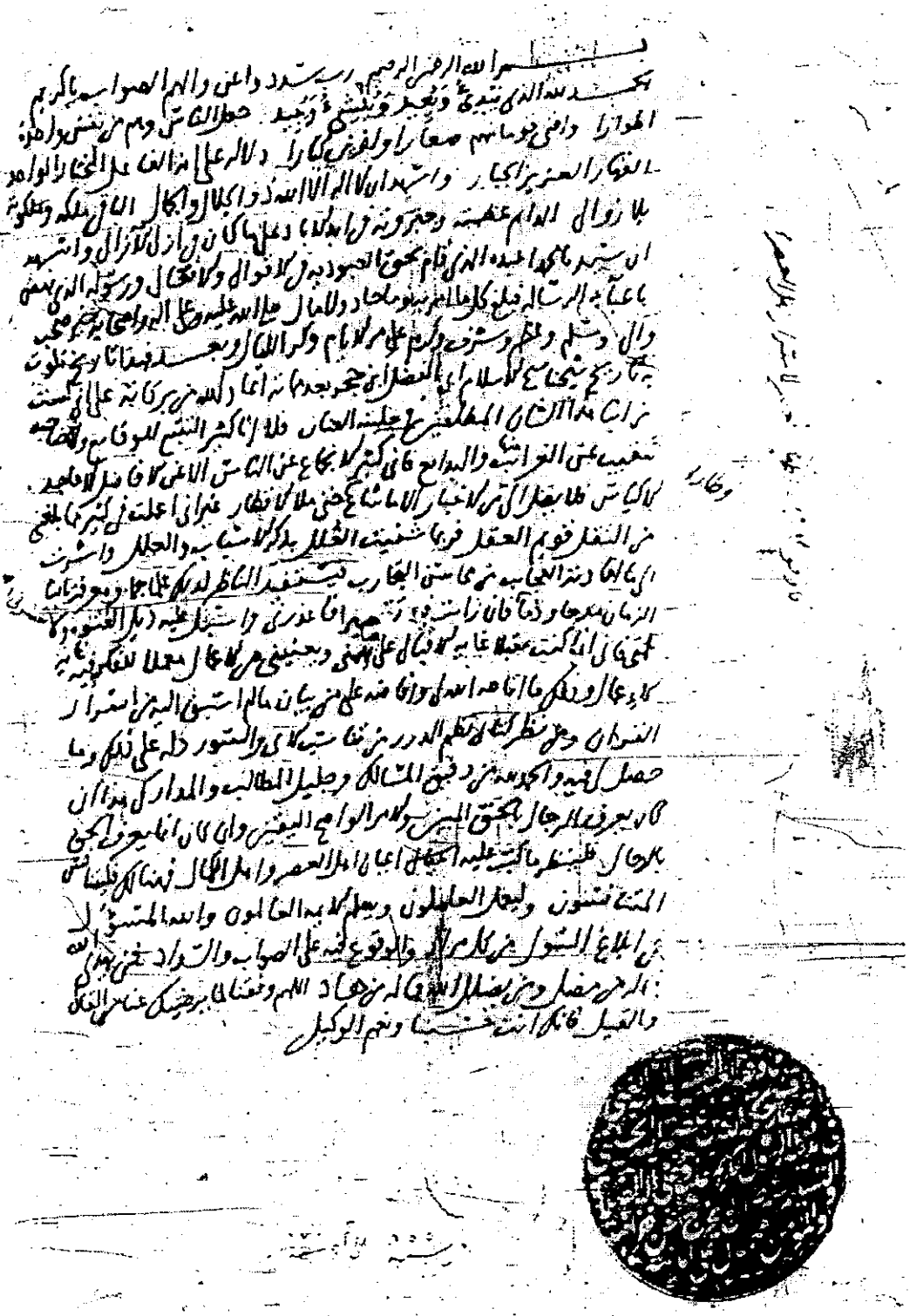

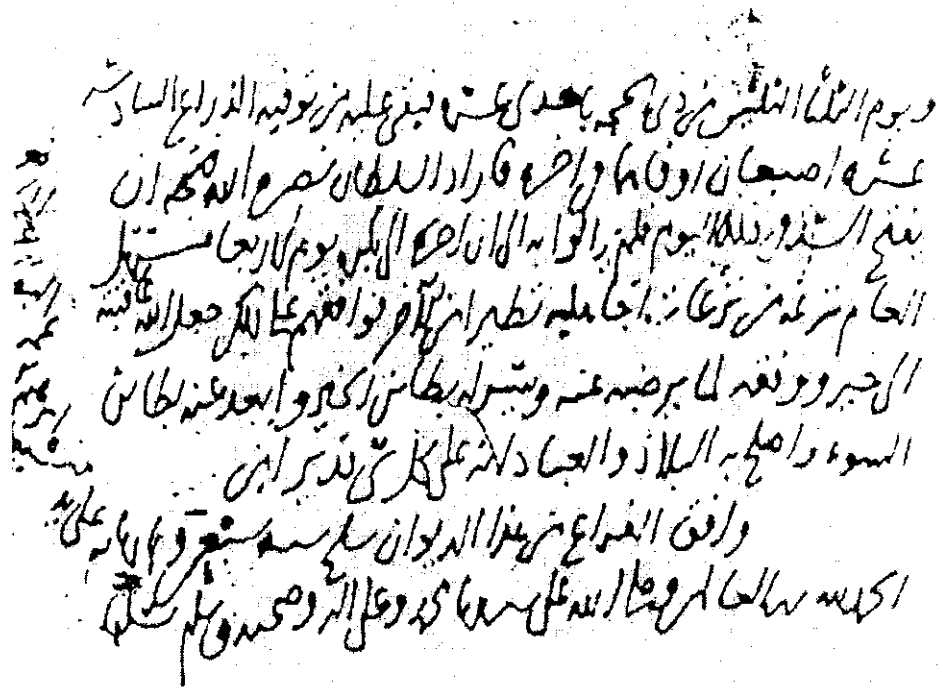

وأمـــا ثانـــيها- أي نماذج خط البقاعي - فهو في قطعة من مخطوط كـــتابه "ســـر الروح" تحتفظ بأصلها الكامل دار الكتب المصرية برقم ٨٥ غيبيات، تيمور. وقد أثبتها الزركلي في ترجمته لمؤلفها في الأعلام. وفيما يأتي صورة عنها:

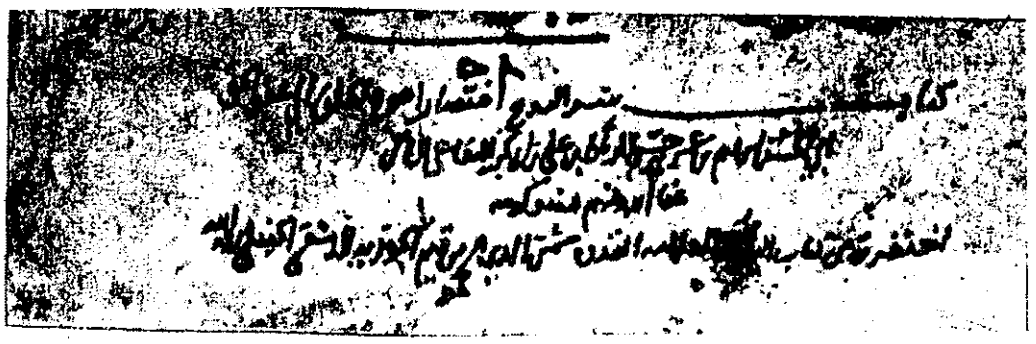

وأمـــا ثالثها فهو في قطعة أخرى أثبتها صاحب الأعلام أيضاً ونسبها إلـــى مخطـــوطة فـــي مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي بتونس وفيما يأتي صورة عنها:

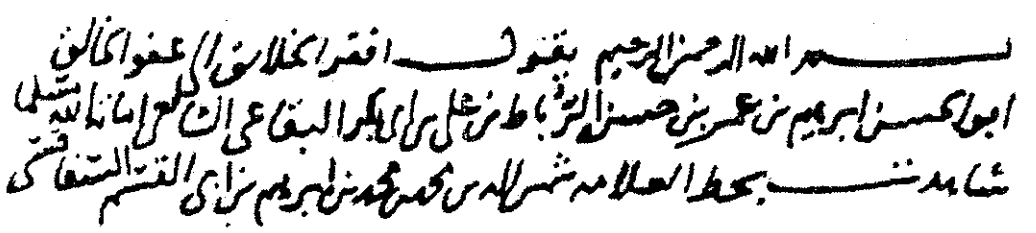

٥ – موضوع المخطوط ونماذج من طرائفه:

موضوع المخطوط هو أخبار المحبين والعشاق وأشعارهم، وقد توخى البقاعـــي مـــن تألـــيفه أن يهذب كتاب **مصارع العشاق** لأبي بكر السراج (٥٠٠هـــ) مـــن جهـــة، وأن يجمع إلى ذلك ما تضمنه كتاب مغلطاي المـــسمىٰ "**الواضـــح المبـــين لمـــن استشهد من المحبين**". وكتاب"**منازل الأحـــباب ومـــنازه الألـــباب**" للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي. من جهة

أخـــرى. وقـــد بناه على مقدمة وعشرة أبواب[١٠]، وفيما يأتي نص كلامه الذي يوضح ذلك كله في مقدمته:

"... غير أن المصنف [يعني السراج صاحب المصارع] لم يتعب في تـــرتيبه ولم يبالغ في تهذيبه، فيذكر في الباب غير مبوب عليه ويثبت من الحكايـــات ما يمج أو لا ينتشون إليه. وأتىٰ في غضونه كثير من الأبيات الخالـــية من النوادر والحكايات. علىٰ أن فيها ما ليس برائق وما يشكل إلا علـــىٰ الأفكار والدقائق، وفرق بعض الحكايات في موضعين إلىٰ غير ذلك ممـــا سواه...، فأردت أن أضع كل شيء منه في مكانه وأحذف الغث من خـــلال ســـمانه وزدتـــه مـــن نوادر الأخبار ولطائف الأشعار ما تحلو به الأسمار وتنبسط ببهجته الأعمار. وأدخل فيه جميع كتاب الحافظ مغلطاي "الواضـــح المبـــين في ذكر من استشهد من المحبين" وذكر جميع حكايات "منازل الأحباب ومنازه الألباب" لشيخه الشهاب وكتب أخرىٰ غيرها، فجاء في مقدمة وعشرة أبواب"[١١].

هـــذا وقد تخيرت فيما يأتي نصوصا من هذا الكتاب تشتمل على طريف الأخبار وبديع الأشعار لتكون مَنْبَهَةً على ما وراءها:

---

١٠ . تـــزيين الأســـواق بتفصيل أشواق العشاق،بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي.

١١ . انظـــر الباب الأول من المصدر السابق، وهو بعنوان : منهج البقاعي في أسواق الأشواق ومصادره. وانظر المخطوط الورقة ٢/ب.

- جاء في الورقة٥٧/أ:

وقال الشهاب محمود : وقيل لأعرابي خلا بامرأة يحبها: ما كان بينكما قال: أدنى ما حرم الله وأقصى ما أحل الله، وما زال القمر يريني فلما غاب القمر أرتنيه، ولئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرة بها، ولا وجع أشد من الذنوب.

وقيل لبعض حكماء حمير:من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من تحلّى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى مالا يخاف.

- وجاء في الورقة ١٠٦/ب:

أنشدنا أبو عكرمة الضبي:

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهنّ هبوبُ

ولو أنني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوبُ

ولو أن أنفاسي أصابت بِحَرِّها حديداً إذاً ظلّ الحديد يذوبُ

وجاء في الورقة١٠٦/ب:

ومن شعره الجيد (أي العباس بن الأحنف):

نزفَ البكاءُ دموعَ عينك فاستعِر عيناً لغيرك دمعُها مدرارُ

مَنْ ذا يعيرُك عينَهُ تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

وقال الأصمعي: دخلت عليه وهو على فراشه ملقى وهو يقول:

يا بعيدَ الدار عن وطنِهْ مفرداً يبكي على شجنِهْ

كلما جدّ الحنين به زادت الأسقام في بدنِهْ

ثم أغمي عليه فأفاق بتغريد طائر على شجرة وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجىً هاتف يبكي على فننهْ

ثم أغمي عليه فظننتها مثل الأولى فحركته فإذا هو قد مات.

ومن جيد شعره:

إذا مـــا شـــئت أن تبصـــ ـــرشـــيئاً يعجـــب الـــناس

فصـــور هـــا هـــنا فـــوزاً وصـــوِّر ثـــمَّ عـباســـا

وقـــس بيـــنهما شـــبرا وإن زاد فـــلا تـــاس

فـــإن لـــم يدنُـــوَا حـــتى تـــرى رأســـيهما راســـا

فكذبهـــا بمـــا قالـــت وكذبـــه بمـــا قاســـا

- وجاء في الورقة ١٢٣/أ :

وعن الزبير بن بكار عن ظبية أن حبابة غنت يزيد يوماً فطرب ثم قال لهـا: هـل رأيت قط أطرب مني. قالت: نعم مولاي الذي باعني. فغاظه. ذلك فكتـب فـي حملـه مقـيداً فلمـا عـرف خبره أمر بإدخاله فأدخل يرسف في قيوده،وأمرها فغنت بغناء:

تشـــطّ غـــداً دار جيرانـــنا ولَلـــدارُ بعـــد غـــدٍ أبعـــدُ

فوثـب حـتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح: الحريق الحـريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال لعمري إن هذا لأطرب الناس، وأمر بحل قيوده، ووصله بألف دينار، قال ووصلته حبابة ورده إلى المدينة.

- وجاء في الورقة ٢٠٤/ب :

قال أبو السائب المدني كانت بالمدينة قينة وكانت من أجود الناس غـــناء، فاشـــتراها رجل من بني هاشم، وكانت تهوى غلاماً أسود من أهل المـ ، فقال لها مولاها يوماً: غنيني، فأنشأت تقول:

إذا شـــابَ الغـــرابُ نـــسيتُ ليلى وهـــيهاتَ المـــشيبُ من الغرابِ

أحـــبُّ لحـــبِّها الـــسودانَ حـــتى أحـــبُّ لحـــبِّها ســـودَ الكـــلابِ

فقال المولى: والله ما أنا بأسود فمن عنيتِ؟ قالت: فلاناً , قال: أتحبينه؟ قالـــت:إي والله، قال: فلا عذر لي في حبسك عنه، فهيئت بأحسن هيئة ثم بعثها إليه.

الخاتمة:

حـــاول هـــذا المـــبحث أن يمـــيط اللثام عن مخطوط غميس من مخطوطاتـــنا العـــربية، عورض على أصله بقراءة مؤلفه، وحظي بتوقيع المؤلف في كل مجلس تمت فيه المعارضة، حتى بلغت توقيعاته ستة عشر توقيعا، مع تأريخ أولها ومنتهاها، ثم عرض المبحث لثلاثة نماذج من خط المؤلـــف كيما تسهل الموازنة بينها وبين تلك التوقيعات، وختم بتخيّر أمثلة من طريف الأخبار وبديع الأشعار التي اشتمل عليها هذا المخطوط ليشير إلى مضمونه ويدلل على أهميته.

مراجع البحث

١. أســواق الأشــواق من مصارع العشاق (مخطوط)لإبراهيم البقاعي، نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٧ أدب.

٢. إظهــار العصــر لأســرار أهل العصر (مخطوط) لإبراهيم البقاعي نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٠.

٣. الإعــلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام لإبراهيم البقاعي، تحقيق محمد مجير الخطيب، دار ابن حزم، بيروت،١٩٩٧ م.

٤. الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط.(١٤) -١٩٩٩م

٥. الإمــام البقاعي ومؤلفاته (مقال) للأستاذ خير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع المحرم ١٤١٦- يونيو(حزيران) ١٩٩٥ م.

٦. تزييــن الأســواق بتفصيل أشواق العشاق، بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي، قدم في ندوة داود الأنطاكي التي أقامها معهد التراث العلمي بحلب ٢٠٠٤م

٧. سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت ط.(١) ١٩٨٨ .

٨. تاج العروس للزبيدي، ط. المجلس الوطني للثقافة والعلوم بالكويت، ٢٠٠٠م.

٩. الفــتح القدســي فــي آية الكرسي لإبراهيم البقاعي، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ٢٠٠١ م.

١٠. فهـــرس المخطوطـــات المصـــورة لفؤاد السيد، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٤ م.

١١.علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب د.محمد مرياتي د.محمد حسان الطيان د. يحيى مير علم. ط. مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني، ١٩٩٧ م.

١٢. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. (٢) ٢٠٠٣ م .

١٣. الوافي بالوفيات للصفدي، دار فرانز شتاينر بفيسباده، ألمانية ١٩٨٠م .